العدد 2645 الخميس 3 ديسمبر 2009 الموافق 16 ذي الحجة 1430هـ
Thursday 3 December 2009, Issue No. 2645
culture@alwasatnews.com

جمال عبدالرحيم

○ يعدّ الفنان جمال عبد الرحيم من أبرز الفنانين المعاصرين في البحرين، الذين تقام لهم المعارض بغزارة في أوروبا والشرق الأوسط. ويستمد الفنان الحائز على الكثير من الجوائز الفنية مواده المشكلة لمخيلته الفنية الخصبة من نسيج الحضارة العربية بما فيها من ثراء في اللغة والأديان والتراث الأسطوري العريق. كما يؤمن بأن إلهام الفنان يمكن أن يتولد من أي شئ وفي أي مكان. ويمكن القول بأن لديه اليوم واحدة من أهم ورش الطباعة في منطقة الخليج.

- ولد في عام 1965 في مدينة المحرق، البحرين.
- له 15 معرضاً شخصياً في البحرين و16 معرضاً في الدول العربية والأجنبية.
- 26 معرضاً مشتركاً متضمناً البيناليات والترياليات الدولية.
- 13 جائزة محلية ودولية.
- 25 كتاباً يدوياً ومجموعات فنية.
- ضيف شرف على ترينالي مصر الرابع لفن الجرافيك في عام 2003.
- ضيف شرف على بينالي الكتاب الثاني بمكتبة الإسكندرية في مصر في عام 2006.
- عضو هيئة تحكيم في المهرجان الدولي السادس عشر للمطبوعات الصغيرة في كاداكس، أسبانيا في عام 2006.
- جائزة تقديرية في معرض البحرين السنوي للفنون التشكيلية في عام 2007.
- في عام 2007، قام المتحف البريطاني باقتناء كتاب «رسائل قصب» وهو أحد إبداعات الفنان في الكتب اليدوية والذي يتضمن بعض من أشعار المتنبي. تم عرض الكتاب في معرض المتحف البريطاني (فن الكلمة - فنانو الشرق الأوسط المعاصر) بمركز دبي المالي العالمي.

أوركسترا الإشارات

باريس - أدونيس

○ أمضيت فترةً أقرأ فيها النفّري، يومياً، منذ أن تيسر لي أن أكتشفه مصادفةً، في أواسط الستينيات من القرن الماضي. كنت أشعر، فيما أقرؤه، أن لتاريخ الكتابة العربية قنديلاً يقرأ هو كذلك، إلى جانبي، مجموعة الرسائل التي كتبها ليل النفّري إلى شموسه الخفية.

كل شيء في حياة النفّري يؤكد أن ثديه الأول في رضاع الكتابة ينحدر من سلالة الكشف، وأن ثديه الآخر ينحدر من سلالة اللانهاية.

ربما لهذا كنت أشعر كلما قرأته أن جمرةً طالعةً من أحشاء بركانٍ تتوهج في كل عبارةٍ، ثم تتحول بعد هنيهةٍ إلى زهرةٍ بلون وردةٍ جورية.

وكان يخيل إليّ أن الموت في كتابته سريرٌ في شكل طائر أخضر، وأن الحياة وسادةٌ في شكل وردةٍ مأخوذةٍ بالسهر على عطرها.

أكيد أن النفّري كان، كما تنبئ كتابته، يمضي وقته في ما لم يفكر أحدٌ من أسلافه: يبتكر شفتين للنهار، وذراعين لليل، ويرسم كواكب خاصةً تدور في فلك الأبجدية.

وفيما كان يغتصب طريق العبارة إلى فتوحاته كان يترفق بالدواة، ويربِّت على كتفي الحبر.

ومازلت أسعد بالتّرحل بين يدي كتابته، وفي ينابيع لغته، كلما رجّني الشوق إلى أن أسمع نشيد الصور، أو أحتضن أوركسترا الإشارات.

أتخيل أنني لو سألت النفّري اليوم: لماذا تكتب، أعني: لماذا كتبت، فسوف يجيب: كتبت بحثاً عن الحقيقة وكشفاً عنها.

والحقيقة مقيمةٌ في كل مكانٍ، وفي داخل الإنسان أولاً، وهي إذاً، توأم الكتابة وفي هذا تكمن مخاطرة الكتابة. والمخاطرة هنا جزء من الطريق إلى المعرفة، وجزء من المعرفة نفسها. وفي كتابة النفّري نجد نموذجاً عالياً لهذه المخاطرة. فهي، من جهةٍ، خرقٌ للسائد المعرفي، وهي، من جهة ثانية، افتتاح لمسالك جديدة نحو عرفانٍ جديد.

غير أن معرفةً لا جهل فيها، لا معرفة فيها، كما يقول النفّري. ومعنى ذلك أن المعرفة لا تنتهي أو لا تكتمل، وأن الحقيقة بحث متواصل واكتشاف دائم، نستشرفها، نستشفها، نستضيء بها، غير أننا لا نقبض عليها بشكل نهائي ومطلق.

لنقل إذاً، مع النفّري: يظل فجر الحقيقة وعداً أمام خطوات ليلنا. كأنما الحقيقة تقترب فيما تبتعد، وتبتعد فيما تقترب. هكذا لا يقدم الفن قصيدةً أو لوحةً كما لو أن الحقيقة فيها ثمرةٌ جاهزةٌ للقطاف، بل يقدمها كما لو أنها فضاءٌ مفتوحٌ نسافر فيه، نتساءل، نتخيل، نستقصي، ونكتشف. ونشعر في هذا كله كأننا نعيش في حراسة حلم يعيش في حراسة الريح، أو كأننا نعوض عن فقر الواقع بغنى المخيلة.

النفّري في آنٍ شاعرٌ مفكرٌ، مفكرٌ شاعرٌ. والسؤال الذي يطرحه على العالم هو، إذاً، سؤال مزدوجٌ: كيف أعرف العالم، وكيف أكتبه؟

ولئن كان فكرياً، يحاور أشياء العالم، فهو شعري، يراقصها. ولئن كان يقيم في الفكر معها، فهو في الشعر ترحُّلٌ دائم فيها. ولئن تعب الفكر ومال إلى التمنهج للتحديد والتبسيط، فإن الشعر طاقةٌ دائمةٌ لزحزحة النجوم، خصوصاً أن أبواب المعرفة لا تفتح، عمقياً إلا بمفاتيح الشعر.

يخلق جمال عبد الرحيم في أعماله الفنية مناخاً للحوار مع النفّري، في غوامضه وإشراقاته. لا الحوار مع المرئي المقروء وحده، بل الحوار أيضاً مع اللامرئي المتخيل اللامقروء.

ويعرف في هذا كله كيف يرسم الغيوم لكي يحسن رسم الصحو. وهو من أجل ذلك يوغل في أحشاء اللون، ويشعل فيها الأضواء، آخذاً بما يقوله جيوردانو برونو: «التصوير الحقيقي شعرٌ وموسيقى وفلسفة».

هكذا كلما اتسعت الرؤية ضاق اللون، تطابقاً مع قول النفّري: « كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». وفي هذا الضيق الواسع، يتراءى لنا أن لغة النفري كمثل زلزال، تستطيع أن تجعل جبلاً يتمايل، وبحيرة ترقص.

يتراءى لنا أيضاً كأن الأبجدية تحب أن تتمرأى دائماً في جسد هذه اللغة.
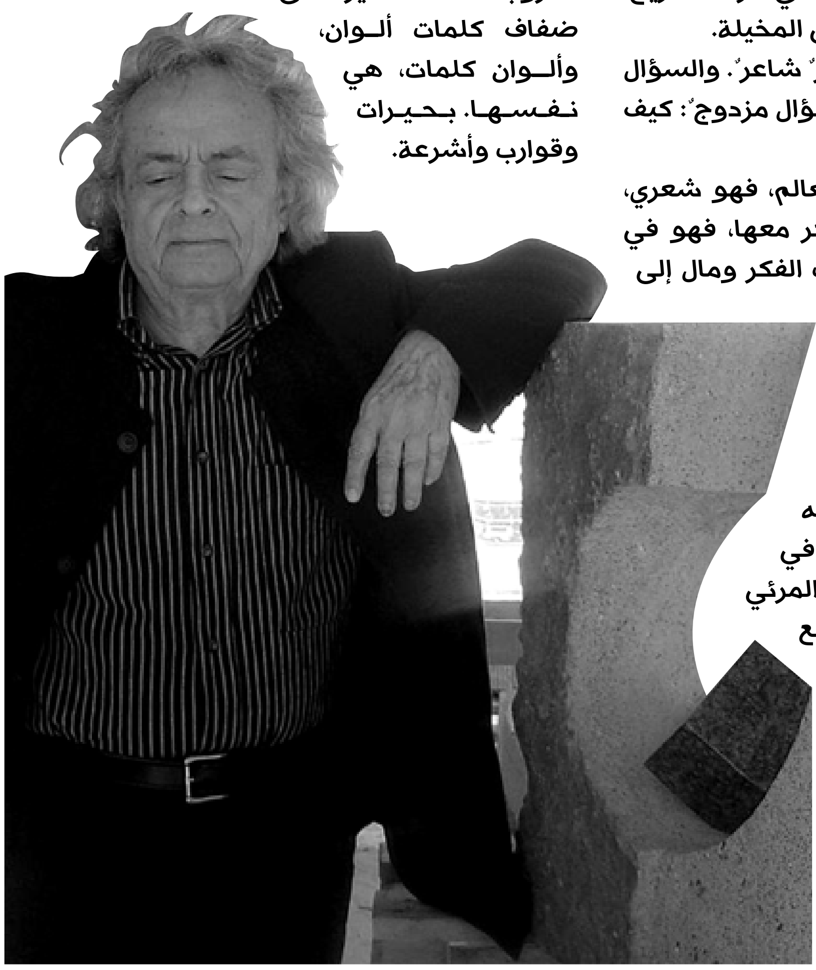
شكراً، جمال عبد الرحيم. تتيح لنا بأعمالك أن نكتشف من أفق آخر، وفي سياق آخر، عالم النفّري: من عتبة فنك، ندخل إلى أنهاره الجوفية. نسير مع الموج ممزوجا بسواد ليل بهي، بحمرة شمس ساعة الغروب، كأننا نسير على ضفاف كلمات ألوان، وألوان كلمات، هي نفسها بحيرات وقوارب وأشرعة.